AIJLLS | JANUARY 2018 | VOL 2 ISSUE 5
مجلة اللسان الدولية / العدد الخامس (يناير 2018م/ 1438 هـــــ)
الترقيم الدولي **ISSN** 2600-7398

تحديد المعنى المقصود في الكلام بين التداولية ومقتضي الحال

Determining of the Intentional Meaning in the Discourse between Pragmatic and Situational Context

الدكتور عبد الغني أبمبولا عبدالسلام ،
الأستاذ المشارك،قسم اللغة العربية، كلية الآداب،جامعة إلورن، إلورن،نيجيريا
Dr. Abdulganiy Abimbola Abdussalam
agabisalam@yahoo.com

ملخص البحث

رغم أن العلاقة بين الكلمة وما تدل عليه علاقة اجتماعية اتفاقية، إلا أنه باجتماع الكلمات في كلام المتكلم يصعب على السامع أن يستوعب معناها دون النظر إلى بعض العوامل التي تساعده في تحديد المعنى المقصود، فمنها ما كانت لغوية ومنها ما كانت غير لغوية. أما الأولى، فتتمثل في مستويات تحليل الكلام، صوتية كانت أم صرفية، نحوية كانت أم معجمية. أما الثانية فمنها ما كانت نفسية ومنها حالية أو غيرها. وعلى هذا الأساس، لا يمكن تجاهل أي عامل من هذه العوامل، ولا يتم معنى الكلام بالنظر إلى المستويات اللغوية منعزلة عن أحوال المتكلم والسامع، وكذلك عن الحالة التي يتم فيها الكلام بل الحادثة التي جرى فيها الكلام. كما أن العوامل اللغوية تخص معرفة معنى الكلام على ضوء دراسة الدلالة. فالثانية تركز على معرفة حالة حدوث الكلام في ضوء البلاغة العربية، وكلتاهما جاريتان على العلاقة بين علم الدلالة وما يتفرع منه من التداولية وبين علم البلاغة وما يتفرع منه من اهتمام بمقتض الحال.وسيصبّ هذا البحث اهتمامه على العلاقة بين التداولية ومقتضي الحال في تحديد المعنى المقصود لدى المتكلم، فيسعى إلى تحقيق هدف واحد بطريقة غير مباشرة "وهو تحديد المعنى" وعليه ينظر البحث في مفهوم التداولية والمقصود بمقتضى الحال، ثم العلاقة بينهما، كما ينظر في توظيف التداولية ومقتضى الحال في تحديد المعنى المقصود، ويختتم بالخاتمة فيها أهم النتائج الموصل إليها.

ABSTRACT:

The fact still remain that the relationship between the word and what it connote, is a social cultural one, but is will be difficult to understand the meaning of any sentence comprises numbers of words without taking to consideration some aspects which help to determine the intended meanings, some of which are linguistic; such as phonetic, morphological, syntactical and lexicographic one. Others are psychological and situational aspects. It will be difficult to get the intention of the writer right, based on levels of content analysis of the language, without considering the situational context of both the speaker and his or her target(s). To this end, the linguistic aspects mentioned above, has to do with discourse under the study of Semantics, while non-linguistic aspects come under the Arabic rhetoric, the two emphasized the relationship between the Semantics and its branches and rhetoric and its branches. This is what the present writer intends to establish through numerous

illustrations as is contained in this paper.

المقدمة

يبدو جلياً عند النظر إلى علم البلاغة أنه يهتم باللفظ والمعنى معا، رغم وجود اختلاف كثير لدى علمائه، أمثال ابن الأثير الذي يؤكد جمال القول وفصاحته، ويقصد بذلك اللفظ دون المعنى، أو الآمدى الـذي فضل أسلوب أبي تمام في اهتمام بالمعنى أكثـر مـن اهتمامه بتقويم الألفاظ، ومع ذلك فإن إمعان النظر فيما كتبه البلاغيون حول مسألة اللفـظ والمعـنى يكشف عن عدم الفصل بينهما، بل هما يشكلان في نظرهم جسداً عضوياً مترابطاً.(ابن عبد الله أحمـد شعيب (2008م) ص 37)

ورغم هذا الاختلاف، فإن معنى الكـلام لا يمكـن العثور عليه إلا بواسطة اللفظ أو الألفاظ، ومع ذلك فالكلمة الواحدة قد لا تؤدي إلى إبلاغ المعنى بـل هي تكون فصيحة فقط إذا توافرت فيهـا شـروط الفصاحة، أما الكلام فيكون بليغاً بعد مـا كـان فصيحاً. كما أن المعنى في ضوء علم الدلالة يكـون واضحاً فقط، إذا اكتملت فيه الضوابط اللغوية على مستوياتها المختلفة. فدور مقتضى الحال في الكـلام البليغ لا يستهان به، كما لا يستهان دور السياق في المعنى الذي يؤديه الكلام في ظل التداولية. فقولـك "أشعر بالبرد" كلام فصيح وبليغ إذا وجـدت فيـه البرودة حقيقة، وهو مطابق للحال، ويحتمل معـنى هذا الكلام، أن المتكلم يريد من صاحبه أن يرجعـا إلى البيت أو غير ذلك، إلا أن المعنى يكون واضحاً أكثر في ضوء التداولية، اذا كانا في البيت، فالمتكلم يريد إما إيقاف المكيّف، أو تشـغيل السـخانة، أو تناول الثوب الخشن حتى يخرج من حالته البـاردة. لقد كثر مثل هذه الأمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوي والكلام العربي، وغايتها تحديد المعنى المقصود. فالنظر إلى هذه العوامل خاصة غير اللغويـة منهـا تساعد أحياناً في تجنب الاختلافات، ليس فقط لدى اللغويين والبلاغيين، بل لدى الأصوليين والمفسرين، إذا يستهلونها – التداولية– في دارسة بينة الخطـاب لغوياً في ضوء قواعد التخاطب العامـة والخاصـة، ووصف علاقة النظام اللغوي وتحليـل وكيفيـات التحقق، والعمليات الذهنية، ومسـتويات الانتـاج والفهم لدي اللغويين، وفهم مقاصـد التخاطـب وأدوار المتلقي في التفسير والتأويل والاسـتدلالات اللغوية، والافتراضات المسبقة ودراسة تحول القـول إلى فعل كلامي في ضوء نظريـة أفعـال الكـلام (الدكتور نعمان بوقرة 2010)

معنى التداولية

يرجع المصطلح إلى مادة "دَوَلَ"على أصلين أحـدهما يدلّ على تحويل شيء من مكان إلى آخر، ومثال هذا "تداول القول. والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة اندال القوم، إذا تحول من مكان إلى مكان، والدِّولة والدُّولة لغتان. ويقال الدِّولة في المال والدُّولة في الحرب.(د. خليفة بوجادي.2011)

أما في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربيـة بمصـر، فيرجع هذا المصطلح إلى مادة "دال" الـدهر دولاً، ودولة بمعنى انتقل من حال إلى حال، ومنـه "أدال" الشيء جعله متداولا، وكذلك "تداول" كذا بيـنهم أي جعله متداولاً تارة لهؤلاء، وتـارة لهـؤلاء، وفي القرآن الكريم، {وتلك الأيام نداولها بين الناس} آل عمران الآية 140 (المعجم الوسيط، لمجمـع اللغـة العربية، جمهور مصر العربية (2000م)) والواقـع أن الصواب لم يجانب الأصليين، إذا نظرنـا إلي معـني الكلمة لدى اللغويين، وهي إما من "دول" أو مـن "دال"، فالرأي الأول احتفظ بأصل الواو للكلمة، أما

الرأي الثاني لمجمع اللغة العربية، فقد فضل الألف عينا للفعل في الثلاثي، إلا أن الأصل رجع إلى الرباعي "داول" للمعنى الذي يقصده الرأي الأول.

أما التداولية اصطلاحاً، فليس هناك تعريف معين لها، لأنها لا تنحصر في مجال معين فتكتسب تعريفاً محدداً، ولكن بتعدد مجالاتها، وامتداد اهتماماتها. اكتسبت تعدد مفهوماتها. ولذلك، فإن اعتبرت "المجال المفهومي" فسيكون مقارباً بشكل ما لاتساع دلالتها، وموحياً من ناحية أخرى بهذا الاتساع والإمتداد، إلا أن هذه المفهومات في مجموعها لا تتعدى التداولية اللغوية أو اللسانية. (الدكتور نعمان بوقرة 2010)

وبالرغم من هذا، فقد حاول بعض اللغويين تحديد المفهوم التداولي منهم طه عبد الرحمن الذي يقول: "إنه وصف لكل ما كان مظهراً من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم"(طه عبد الرحمن (1993م) ص. 244)

ومنهم موريس الذي يعرف التداولية بأنها: "عبارة عن نظام من السلوك "في كل مرة يستوجب اتخاذ موقف لدى المتلقي، سواء كان هذا الموقف إيجابياً أو سلبياً إزاء حدث ما أو شيء ما أو مقام ما"(سعد بولنوار 2011)

مفهوم الدلالة التداولية

وبناءً على ما سبق حول الدلالة التداولية، يجب النظر في المقصود بالدلالة عامة، وهي – الدلالة – كون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، ويرى القارئ هذا جلياً في بعض تعريفات علم الدلالة، وهو عند البعض "هو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في اللفظ حتى يكون قادراً على حمل المعنى"(الدكتور نعمان بوقرة 2010) وفي مفهوم علماء الأصول، فكيفية دلالة اللفظ على المعنى محصورة في عبارة النص، وإرشاد النص، ودلالة النص، واقتضاء النص، ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النص إما أن يكون ثابتاً بنفس النص أو لا. والأول إن كان النص مسوقاً له، فهو العبارة، وإلا فالإشارة. والثاني إن كان النص مفهوماً من اللفظ فهو الدلالة، أو شرعاً فهو الاجتهاد. فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهاداً. وعلى سبيل المثال فقوله "لغة" أي يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل، كالنهي عن التأفيف في قوله تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} [الإسراء: 23] يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الأذى بدون الاجتهاد.(الدكتور نعمان بوقرة 2010) وعليه، تفهم الدلالة التداولية من خلال دراسة آثار السياق على المعنى، وهي عملية تطبيقية لاستعمال اللغة لدى الناس لإثبات هويتهم من خلال المعنى الاجتماعي، وكيفية خواطرهم من خلال المعنى العاطفي، نحو إصدار عبارات تتم من خلالها المناقشة مع الآخرين.(الدكتور نعمان بوقرة 2010)

والتداولية بمعنى Pragmatics تهتم بالتأويل للمعنى اللغوي في السياق، وينقسم السياق إلى قسمين، الأول السياق اللغوي وهو الخطاب السابق لعبارة أو الفكرة يرجى اعتبارها عند تأويل المعنى أو تفسيره بغية فهم المعنى. والثاني، هو السياق الحالي وهو كل العوامل غير اللغوية التي تعتبر عند تأويل المعنى أو تفسيره(الدكتور نعمان بوقرة 2010) وبما أن المخاطِب يفكر في كيفية تركيب الجمل والعبارة. فالمخاطَب يضع في تحليل الخطاب عامة، العوامل المكونة للعبارة بما في ذلك الأسلوب والهدف

ومقتضى الحال وغيرها، وكلها تسعى إلى تحديد المعنى تحديداً تداولياً.

ويتضح جلياً من خلال ما سبق، أن التداولية علم يدرس الألفاظ والمعاني والمفاهيم والإرشادات والأفكار وكل ما له علاقة بالاستعمال اللغوي والمفهوم منه، وبعبارة جامعة، التداولية أداة للتفسير والنقد، تبدو قيمتها في اعتبارها وسيلة معرفية نلجأ إليها لتعيننا على الفهم والمعرفة والتمييز، ونستطيع بواسطتها معرفة معنى اللغة المستعملة، خاصة إذا كان خلافاً للمعنى المألوف، أو استعملت لإرساء مبادئ الحوار في المجال الإستعمالي(الدكتور نعمان بوقرة 2010).

ومع هذا، فقد أشار "ديفيد كريستال" أن هناك عوامل تحكم اختيارنا للغة في الاتصال الاجتماعي وغيره، وعادة يمكن أن نقول ما نريد دون أية عوائق، أما في الحقيقة فهناك قوانين اجتماعية – أكثرها تكون لا شعورية – تعوقنا عند التخاطب، وعلى هذا ذكر بعض سمات الدلالة التداولية التي يعتبرها أساسية وهي:

-1 المعنى (خالياً من السياق).
-2 الأسلوب.
-3 علم اللغة النفسي.
-4 تحليل الخطاب(الدكتور نعمان بوقرة 2010)

هذا مع الاعتراف من "ديفيد" أن تلك السمات كثيرة قد يصعب على واحد حصرها وتمييزها عن بقية العوامل اللغوية الأخرى.

مفهوم مقتضي الحال

يجب على الباحث هنا أن يعرف مقتضي الحال حسب ما في علم البلاغة، كما يجب النظر في التداولية إذ يساعدان على تحديد المعنى المقصود. والحال عند علماء البلاغة، هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية في التراكيب، إذ يكون المقتضي هو الصورة المخصوصة التي ترد عليها العبارة.(ابن عبد الله أحمد شعيب (2008م) ا ص. 33)

فمقتضي الحال، هو معرفة الخصوصية التي وضُع الكلام عليها، ويقوم المتكلم بتوظيف هذه الخصوصية والأحوال والمقامات ووضعها في مناسبتها ومطابقتها متكلماً بليغاً.(الإلوري آدم عبد الله (غ/م) ص.5)

1. ومقتضي الحال (Situational Context) من ناحية أخرى عبارة عن البيئة غير اللغوية التي يتمّ فيها الكلام مما يساعد على معرفة المعنى المقصود. وهذه الحالة أو البيئة تتضمن حالة المتكلم والسامع والمتحدثين حولهما الذين كانوا على علمهم وبما يتحاورون عليه(Victory Fromkin etal (2007) P. 200).

وعلى هذا فيختلف مقتضي الحال تبعاً لتفاوت الكلام، مقام التنكير والإطناب والتقديم والذك ر يباين عكسه من التعريف والإيجاز والتأخير والحذف. ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب ومقام المساواة. واستخدام الكلام المناسب حسب هذه المقامات هو حقيقة مراعاة مقتضي الحال.

لقد عرفت اللغة العربية عن طريق بلاغتها هذه الأحوال والمقامات قبل علماء الغرب اللغويين منهم مالينوفسكى الذي جاء بمصطلح Context of

Situation بمعنى سياق الحال عند دراسته للكلام الحي، غير أن فيرث طور هذا المصطلح في دراساته اللغوية إلى نوع من التجريد في البيئة الكلامية، أي الوساط الذي يقع فيه الكلام.(عبد الوهاب زهران (1983م) ص ص. 131-146.)

ويتضح فيما سبق أن الغربيين تناولوا هذه الظاهرة على غرار دراسة علماء البلاغة العربية لها منذ العهد القديم، ولو كانت مبعثرة في أمهات الكتب.

تحديد المعنى المقصود

إن محاولة النظر في العلاقة بين التداولية ومقتضى الحال توحي إلى صعوبة تحديد معنى التداولية اصطلاحاً – كما سبق في هذا البحث – ولأجل ذلك اكتفى كثير من العلماء أن يأتوا بمفهومها في ضوء دراساتهم لها، ونتيجة لهذه، رأيناهم يعرفونها على أنها دراسة عوامل الفك في تركيب اللغة حيناً، وحيناً آخر هي دراسة عناصر المعنى دون التي تخص الكلام من حيث الصدق والكذب.(ديفيد كريستال(1987) ص 120)

هذا وقد رأى ديفيد كريستال(1987) ص 120) أن التداولية تشترك في نواح معينة مع العناصر اللغوية الأخرى. منها:

1-تشترك الدلالة – علم المعنى – مع التداولية عند الوضع في اعتبار قصد المتكلم، وأثر الكلام في السامع، والنتيجة الناجمة من التحاور بينهما والطريق المتبع وكذلك الإيمان والدرجة العلمية وغيرها.

2-تشترك الأسلوبية – علم النظم – وعلم اللغة الإجتماعي مع التداولية في نوع العلاقة بين المشتركين في الكلام وكذلك نوع العناصر غير اللغوية، وموضوع الحوار مما يترتب في اختيار العناصر اللغوية المستعملة وتنوعها.

3- يشترك علم اللغة النفسي مع التداولية في البحث عن نفسية المشتركين في الحوار التي لها أثر في الانتاج الكلامي، مثل القصد، والذاكرة، والشخصية.

4- يشترك تحليل الخطاب بالتداولية لأنهما يركزان على تحليل الحوار عن عوامل نفسية ولغوية للتركيب.

ويبدو جلياً فيما سبق لدى ديفيد كريستال أن كثيراً من العوامل والعناصر التي أكد بوجودها في علوم مختلفة ذوات علاقة داخلة بالتداولية في علوم البلاغة، وهي علاقة وطيدة بمقتضي الحال. وقد أشار عبد الحميد هنداوي في تحقيقه وتعليقه وفهرسته لكتاب الإيضاح في علوم البلاغة، أن مقتضي الحال هو الاعتبار المناسب، ويعني بذلك تطبيق الكلام على مقتضي الحال، وهو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر الجرجاني بالنظم حيث يقول: النظم توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام.(الخطيب القزويني (2004م ص 19)

وبما أن اهتمام هذه المقالة يتركز على العلاقة بين التداولية ومقتضى الحال، فإن الباحث في السطور التالية ينظر إلى نماذج من التعبيرات التي يمكن من خلالها ملاحظة ظواهر خارجية في مقتضى الحال، وكذلك عناصر سياقية لغوية في ظل الدراسة التداولية، يرجو من خلالها أنه قد أثبت تلك العلاقة المشار إليها عبر الفقرات السابقة.

التداولية ومقتضي الحال في تحديد المعنى المقصود

يجب أن نسجل في هذا البحث أن معرفة مقصود المتكلم غاية يصعب بلوغ شأوها، ذلك أن المعنى سبق اللفظ، فالمتكلم يختار الكلمة المناسبة أو التي يراها مناسبة لتكون وسيلة لإبراز المعنى المكون لديه، وبالتالي فاللغة هي وسيلة نقل المعنى الأساسي إلا أنها

ليست وحيدة فقط(الدكتور ن ي كولنج (1990م) ص. 143.) ومع كون اللغة الوسيلة الأساسية، إلا أنها تنظر في سياق المخزون الكامن في الرموز المستخدمة في التواصل البشري، وبهذا فهي- اللغة - ثلاثة نماذج من الرموز وهي:

1-الرموز اللغوية وهي في الأساس، الكلمات المستخدمة وترتيبها القواعدي.

2- الرموز شبه اللغوية فتلك تظهر نفسها إما عبر الصوت ويصعب فصلها عن اللغة الشفهية، طبيعة الصوت مثلا أو تلك التي تفسر بشكل أساسي عبر اتصالها بالرموز اللغوية مثل سرعة الكلام أو بطئه.

3-الرموز غير اللغوية وهي مستقلة تماماً عن النظام اللغوي، ويمكنها أن تعمل بشكل ممتاز بمفردها، وتكون صوتياً مثل أنين الألم أو غير صوتي مثل الابتسامات وغيرها.(الدكتور ن ي كولنج (1990م) ص ص. 143 - 144)

وبناءً على هذه الرموز نجد أن بعض الآيات توافرت فيها الرموز لتدلّ على مقتضي الحال أو التداولية، أو كلاهما معاً. ويظهر ذلك في قوله الله وتعالى لينبّيه موسى عليه السلام {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا} [طه: 69] ويقصد الحقّ تعالى بما في يمين موسى العصا، ويستطيع القارئ أن يعرف ذلك خلال السياق أي الآيات السابقة لتلك الآية في السورة نفسها { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} [طه: 17 – 20]

وهذه العصا لا تزال في يمينه، وصارت حيّة تسعى، عند ما ألقاها للمرة الأولي، وفي المرة الثانية تلقف ما صنعوا. نفهم من الآية دلالة تداولية لما في يمين نبي الله موسى عليه السلام. كما أن مقتضي الحال من الإلقاء لدى السحرة يقتضي الإلقاء لما في يمينه عليه السلام. وقد سبق أن سأل موسى السحرة من يلقى منهم في قوله: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) } [طه: 65 - 67]

ومن هذا القبيل ما ورد في معنى "لامستم" في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء: 43]، وكذلك قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: 6]. وقد اختلف العلماء في جواز التيمم وعدمه لمن لمس النساء بناء على سياق المعنى في كل من الآيتين. ففي معنى الأولى رأي الفريق الذي قال بعدم جوازه أن قوله ... ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا" يدلّ على ضرورة الغسل بالجنب باستثناء حاله في السفر. أما قوله وإن كنتم مرضى أو على سفر أو لامستم النساء" حسب بعض القراءات. يكون معناه مجرد اللمس باليد وليس بالجماع كما قال به بعض العلماء. كما أن الآية في سورة المائدة جعلت حكم

الجنب بمعنى الغسل، حيث بدأ حكم التيمم في قوله أيضاً: [وإن كنتم مرضى على ســـفر أو لامســـتم النساء].

والفريق الثاني نظر إلى سياق الكلام في تحديد معنى الآية أن عابر السبيل هو الذي يغتسل فقط إذا لم يجد ماءاً، فقد يجد المقيم نفسه في نفس الحال بعدم وجود الماء، فيجب حينذاك التيمم ، أما اللمس المتبادل بين الرجل وزوجه، قد يؤدي إلى الجمـــاع، وفي هـــذه الحالة، يجوز التيمم إذا فُقد الماءُ. ولولا السياق لمـــا أدى معنى هذه الآيات إلى الاختلاف بينهم.(حمد بن أحمد رشد القرطبي (1981) ص ص 64-65)

ومن هذه النماذج، معنى كلمـــة الجنـــة "حيث وردت في آيات كثيرة بمعنى جنة النعيم عند سدرة المنتهى مثل قوله تعالى: {الَّـــذِينَ تَتَوَفَّـــاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: 32]، وقوله: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 27] ، ويستطيع القارئ من خلال سياق الكلام أن يفهم أن معنى الجنة، يختلف معناها في الآيات التالية، منها قوله تعالى: {وَدَخَـــلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيـــدَ هَـــذِهِ أَبَدًا} [الكهف: 35] ومعنى الجنة هنا هـــو الحقـــل الزراعي، بدليل ما قبل هذه الآية وما بعدها، خاصة ما قاله تعالى في نفس السورة : { وَأُحِيطَ بِثَمَـــرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَـــةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف: 42].

وقد أوجز مقتضى الحال معنى كلمة المفلس في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سأل أصحابه معنى المفلس قال: أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال "إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرِح في النار" رواه مسلم

فهذه الحال يوم القيامة وظروفه البيئية تجعله حقيقـــة المفلس، كما أن سياق الحديث يعطي لفظ المفلـــس دلالة تداولية خلافاً للدلالة المعجمية التي أتـــى بهـــا أصحاب الرسول في بداية الحديث.

وكما أن قول الرجل لصديقه عند تناولهما الطعام، هل تعطيني الملح "Can you pass the salt" يعتـــبر طلبا، وليس مجرد سؤال لأنه يريد منه أن يناوله الملح، فسياق الحال هنا يدلّ على ذلك، عند اعتبار المتكلم والسامع، الذي يأكل معه على المائدة، والبيئـــة أو الظروف التي كان فيها، والعادة التي تعودوا عليها في مثل هذه الظروف.(Victory Fromkin etal (2007) P. 200).

فعلى ما سبق نلاحظ أن لكل من التداولية ومقتضى الحال أدواراً يؤديانها في تحديد المعنى المقصود. وهما من الرموز غير اللغوية يجب اعتبارهما ليس فقط من لدى المتكلم، بل لدى السامع الذي يستقبل الكلام بالرموز اللغوية بالرموز غير اللغوية.

والواقع أنه ليست لهذه الرموز غير اللغوية قواعد وضوابط خاصة تلزمها بل الأحوال متغـــيرة حسب البيئة المحيطة بالمتكلم والسامع، كما يقـــود سياق الكلام المعنى التداولي.

الخاتمة

حاول الباحث في السطور السابقة إلقاء الضوء على علاقة التداولية بمقتضي الحال في تحديد المعنى المقصود ، وقد نظرنا إلى مفهوم التداولية ومقتضى الحال في صورة توظيفهما خلال الكلام العربي خاصة في توليد المعنى الجديد بواسطة الرموز غير اللغوية الملاحظة في الكلام، وقد أثبت الباحث ضرورة توظيف كل من التداولية ومقتضى الحال في تحديد المعنى المقصود، إذ قد لا تؤديه الرموز اللغوية في بعض الأحايين، على حسب ما أشار إليه في حديث المفلس حيث أصاب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في إجابتهم لمعنى المفلس نظراً للرموز اللغوية الحائطة بتلك الكلمة، ولكنها تختلف عن مقصود المتكلم – رسول الله – له.

ورغم أن هذه الرموز غير اللغوية لا تلتزم بالقواعد الضوابط المعينة، فإنها تعمل حسب ظروف بيئية المتكلم والسامع، أو اعتبار سياق الكلام.

والله ولي التوفيق.

الهوامش

1. ابن عبد الله أحمد شعيب (2008م) بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، دار إبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ص 37
2. الدكتور نعمان بوقرة :ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، http.//www.eiit.org/eiit/eiit/art…?article ID=844. Accessed, on 21-10-2010
3. د. خليفة بوجادي ،التفكير اللغوي التداولي عند العرب مصادره ومجالاته، http.//almaktabah.net/vb/showthread.php?+=33405, accessed on 17-05-2011.
4. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهور مصر العربية (2000م) وزارة التربية.
5. نعمان بوقرة، التفكير اللغوي التداولي عند العرب، المرجع السابق.
6. طه عبد الرحمن (1993م) تجديد المنهج في تقويم التراق، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص. 244
7. سعد بولنوار : التداولية منهج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب، http.//daifi.montadarabi.com/t2913-topic accessed on 18-07-2011
8. نعمان بوقرة ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، المرجع السابق
9. المرجع السابق
10. المرجع نفسه
11. المرجع نفسه
12. المرجع نفسه
13. المرجع نفسه
14. ابن عبد الله أحمد شعيب (2008م) المرجع السابق، ص. 33
15. الإلوري ،آدم عبد الله (غ/م) دورس البلاغة العربية، أغيغي، مطبعة الثقافة الإسلامية، نيجيريا، ص.5
16. Victory Fromkin etal (2007) An Introduction to Language, USA, Thomas, Higher Education, Bostin, P. 200
17. عبد الوهاب زهران (1983م) قضية لغوية: صورة كل بناء لغوي مع معناه الخاص به، مجلة معهد اللغة العربية، العدد الأول، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص. 131–146.

18. David Crystal (1987) The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge, University Press P. 120.
19. David Crystal (1987) Ibid P. 120
20. الخطيب القزويني (2004م) الإيضـــاح في علوم البلاغة، حققه وعلق عليه وفهرســـه عبد الوهاب هنداوي، القاهرة، مؤسســـة المختار للنشر والتوزيع، ص 19
21. الدكتور ن ي كولنج (1990م) الموسوعة اللغوية، ترجمة محي الدين حمدي وعبـــد الله الحميدان، جامعة الملك ســـعود، المملكـــة العربية السعودية، ص. 143.
22. المرجع نفسه، ص. 143–144
23. حمد بن أحمد رشد القرطبي (1981) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الطبعة الخامســـة، الجزء الأول،مطبعة الحلبي وأولاده، مصـــر. ص ص 64–65

24- Victory Fromkin(2007) Ibid p.20

Almaraaji :

Abdul-Wahab Zahran(1983)Qadiyyatu Lugawiyyah: Suratu Kulli Binau Lugawiyin ma'n ma'anahul Khassi Bin, Majallatu Ma'ahadu-Lugatil- Arabiyyah, Al-adatul-awwal, Jamiatu Ummu Al-Qura, Al-Mamlakatul- Arabiyyatus-Sa'udayyah, pp: 131-146

Al-Ilory, Adam Abdullahi (n/d) Durusul- Balagatil Arabiyyah, Agege, Matbaatuth- thaqafatil Islamiyyah, Nigeria, P.5

Al-Khatibul Qazwiniyi, (2004)Al-Idahu fi 'Ulumil-Balagah Haqqaqahu wa'allaqa alaihi wa farhasahu Abdulwahab Hindawiy, Al-Qirahirah , Muassasatul Mukhtar lin-nashir watauzi'i P. 19

Al-Mu'jamul – wasith, Limajmail Lughtil Arabiyyah, Jamhuru Misra Arabiyyah. (2000)

Hamidu bn Ahmad Rushdil-Qurtabi (1981) Bidayatul-Mujtahid wa Nihayatul Muqtasid, At-tabiatul Khamisah, Al-Juzhul- Awwal, Matbaatul Halbi wa auladih, Misra, PP 64-65.

Ibn Abdulah Ahmad Shuaib (2008) Buhuthun Manhajiyati fi ulumil Balaqatil- Arabiyyah, Daru Ibn Hazmi Lit-tibati wan-Nasir wat-tauzihi, Beitut, Lebanon P. 37

N.Y. Colunga (1990) Al-muassasatul- Lugawiyyatu, Tarjamatul- Malaki Saud, Almamlakatul Arabiyyatus Saudiyyah, P.143

Taha Abdur-Rahman(1993) Tajdidul- Manhaji fi Taqwimit-Turaq, Al-Maqrib, Al-Markazuth- Thaqafil- Arabi, P. 244